



بدايات الانشقاق الزيدى فى التاريخ الشيعى: قراءة فى الوثائق و الروايات

پدیدآورده (ها) : النوری، محمد؛ عبدالرزاق، محمد
میان رشته ای :: **المنهاج** :: شتاء 1429 - العدد 48
از 302 تا 315 آدرس ثابت : <http://www.noormags.ir/view/fa/articlepage/712831>

دانلود شده توسط : رسول جعفریان
تاریخ دانلود : 14/04/1395

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی (نور) جهت ارائه مجلات عرضه شده در پایگاه، مجوز لازم را از صاحبان مجلات، دریافت نموده است، بر این اساس همه حقوق مادی برآمده از ورود اطلاعات مقالات، مجلات و تأییفات موجود در پایگاه، متعلق به "مرکز نور" می باشد. بنابر این، هرگونه نشر و عرضه مقالات در قالب نوشتار و تصویر به صورت کاغذی و مانند آن، یا به صورت دیجیتالی که حاصل و بر گرفته از این پایگاه باشد، نیازمند کسب مجوز لازم، از صاحبان مجلات و مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی (نور) می باشد و تخلف از آن موجب پیگرد قانونی است. به منظور کسب اطلاعات بیشتر به صفحه **قواین و مقررات** استفاده از پایگاه مجلات تخصصی نور مراجعه فرمائید.



پایگاه مجلات تخصصی نور



بدايات الانشقاق الزيدية في التاريخ الشيعي قراءة في الوثائق والروايات

أ. محمد النوري^(*)

ترجمة: محمد عبدالرزاق

تمهيد

يتزعم زيد بن علي - المعروف بزيد الشهيد - واحدة من أهم الفرق الشيعية، وهو ابن الإمام زين العابدين عاش عليه، ولد سنة ٧٩ واستشهد ١٢٢ هـ^(١). ويكون التشيع من ثلاث فرق أصلية هي الإمامية (الاثنا عشرية)، والإسماعيلية، والزيدية، والزيدية هي من أكبر المكونات الشيعية بعد الاثني عشرية.

أخذ المذهب الزيدي ينمو منذ مطلع القرن الثاني، وسرعان ما اتسعت رقعته الجغرافية لتهيمن على مناطق من إيران واليمن وشمال إفريقيا خلال القرن الثالث الهجري، فحظي في هذه المناطق باستقبال واسع، حتى إنه كان سابقاً للمذهب الاثني عشرى في شمال إيران وخراسان^(٢).

ولطالما كانت الحركة الزيدية مثار اهتمام علماء الإمامية رصداً لأبعاد الزيدية والزيديين على مر التاريخ^(٣).

ومن أهم المباحث المرتبطة بهذه الفرقة هي مرحلة التبلور والتكون للإمامية الزيدية، وتأسيس هذا المذهب بزعامة زيد بن علي، وقد ورد ذكر زيد بن علي في العديد من روایات الإمامية، وحققت من قبل المحدثين والرجاليين والفقهاء والمتكلمين لترسيم الملامح الأولية لموقف الإمامية تجاه زيد من جهة، وبيان كيفية تشعب الزيدية عن الشيعة الإمامية من جهة أخرى، فكانت تلك الدراسات الفقهية

(*) باحث في الحوزة والجامعة، ومشرف وكاتب في العديد من الموسوعات الإسلامية، من إيران.

• بدايات الانشقاق الزيدى في التاريخ الشيعي، قراءة في الوثائق والروايات

والكلامية النواة الأولى لبلورة الفكرة العلمية المنهجية للمذهب الزيدى، ولعل جل تلك الآراء والأفكار جاءت نتيجة لمناظرات الزيديين مع أئمة المسلمين، والواقع أن تلك الروايات تمثل مقطعاً من تاريخ الكلام الشيعي ومؤشرًا على بداية أزمة حقيقة في المذهب.

وللعلامة المجلسي - في بحار الأنوار - دور في سرد الرؤية الإيجابية عند الإمامية تجاه الفرقـة الـزيدـية من خـلال جـمع الروـايات المـتعلـقة بهاـ وـالـتعليقـ عـلـيـهاـ، آـمـلـينـ أنـ تـكـوـنـ مـثـلـ هـذـهـ المـبـادـرـاتـ عـوـاـمـلـ فـيـ التـقـرـيبـ بـيـنـ هـاتـيـنـ الفـرـقـتـيـنـ الشـيـعـيـتـيـنـ، إـفـشـالـأـلـىـ بـعـضـ المـخـطـطـاتـ الـرـامـيـةـ إـلـىـ بـثـ الفـرـقـةـ وـالـتـكـفـيرـ مـنـ الجـانـبـيـنـ.⁽⁴⁾

لقد جمع المجلسي العديد من الأخبار المرتبطة بزيد والزيديين في الباب الحادى عشر من تاريخ الإمام علي بن الحسين السجاد^{عليه السلام}⁽⁵⁾.

هذا بالإضافة للروايات الأخرى الموزعة في سائر الأجزاء والمواضيع⁽⁶⁾.

وتتمحور المباحث المتعلقة بزيد بن علي في العناوين التالية: — مدح زيد والثناء عليه. — نهيه عن الثورة. — دور الأئمة في دعم الثوار وذوي الشهداء. — مناظرات العلماء مع الزيديين. — بيعة الناس لزيد واتباعه. — التنبؤ باستشهاده. — الحوادث التي أعقبت الاستشهاد. — إنعكاسات ثورته. — رأيه في مفهوم الإمامة.

أما مصادر المجلسي في نقل تلك الروايات فهي: المناقب، كشف الغمة، أمالى الصدق، عيون أخبار الرضا، مقتضب الأثر، الاحتجاج للطبرسي، الاختصاص، قرب الإسناد، ثواب الأعمال، إرشاد المفید، رجال الكشي، الكافي، مصباح الكفumi. غالباً ما يعلق المجلسي في ذيل الروايات المنقولـةـ.

سيرة زيد بن علي

نشأ زيد بالمدينة في محـيط تـربـوي يـضمـ كـلـاـ منـ والـدـهـ الإـمـامـ السـجـادـ^{عليـهـ السـلامـ}ـ، وأـخـيـهـ الإـمـامـ الـبـاقـرـ^{عليـهـ السـلامـ}ـ، وـابـنـ أـخـيـهـ الإـمـامـ الصـادـقـ^{عليـهـ السـلامـ}ـ، فـنـهـلـ مـنـ مـخـلـفـ الـعـلـمـوـنـ، وـالـعـارـفـ، وـقـدـ نـقـلـتـ عـنـهـ أـحـادـيـثـ كـثـيـرـةـ فـيـ مـصـادـرـ الشـيـعـةـ كـالـكـافـيـ، وـيـنـسـبـ إـلـيـهـ أـكـثـرـ مـنـ عـشـرـةـ آـثـارـ مـدـوـنـةـ فـيـ عـلـمـ الـفـقـهـ وـالـكـلـامـ وـالـتـفـسـيرـ وـالـحـدـيـثـ.⁽⁷⁾ وـقـدـ تـلـمـذـ

عليه العديد من الأسماء البارزة، كأبي حنيفة. ويحظى زيد - علاوة على المكانة العلمية - بمنزلة أخلاقية عالية بين أهل مجتمعه.

كان عصر زيد بن علي مصاحبًا لسيطرة الأمويين المطلقة، وخلافة هشام بن عبد الملك بن مروان (مدة حكمته ١٠٥ - ١٢٥هـ) الذي عرف بالفسق والمجون. وبما أنه كان مخالفًا للحكم الأموي المستبد، لذا كان يمثل جبهة إعلامية مناهضة للولاة الأمويين، حتى أواخر صفر وأوائل محرم سنة ١٢١ أو ١٢٢هـ، فدارت حرب من الكر والفر بين أتباعه وجيش يوسف بن عمر الثقفي - المكلف من قبل هشام بقمع حركة زيد - انتهت باستشهاده^(٨).

وقد جمع فؤاد سزيّن المصادر والمراجع المرتبطة بتواريخ زيد الشهيد^(٩)، وهناك أيضًا كتابات وأثار أخرى لابن بابويه القمي، وإبراهيم بن محمد الثقفي، والجلودي، والصاحب بن عباد حول زيد والريدية^(١٠). وقد خصصت بعض كتب الشيعة الروائية أبواباً بأخبار زيد الشهيد^(١١).

ووصفت روايات بحار الأنوار بالكرم والعفو^(١٢)، وأنه سيد أهل البيت والأخذ بثأرهم^(١٣)، وقد نصّت روايات أخرى على أنه من الوفدين على الجنة من دون حساب^(١٤)، فلقب هو وأتباعه بالشهداء، وشبّه بالإمام على عليه السلام وأصحابه أيضًا^(١٥).

يروى في حادثة زيد بن موسى بن جعفر عليهما السلام في البصرة أنه عندما اعتُقل وأُحضر عند المأمون، وهب المأمون جرمه لأخيه علي بن موسى الرضا عليهما السلام، وقال له: يا أبا الحسن لئن خرج أخوك وفعل ما فعل، لقد خرج قبله زيد بن علي فقتل، ولو لا مكانك مني لقتلته، فليس ما أتاه بغير، فقال الرضا عليهما السلام: «... لا تقس أخي زيداً إلى زيد بن علي عليهما السلام فإنه كان من علماء آل محمد، غضب الله عز وجل فجاهد أعداءه حتى قتل في سبيله»^(١٦).

وقد نصّت جملة من الروايات على أن هدفه من الخروج هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والثأر للدماء الحسين عليهما السلام^(١٧). والأخبار بشهادته كثيرة، منها رواية معمر:

«كنت جالساً عند الصادق عليهما السلام فجاء زيد بن علي بن الحسين عليهما السلام فأخذ

• بدايات الانشقاق الزيدية في التاريخ الشيعي، قراءة في الوثائق والروايات

بعضادي الباب، فقال له الصادق ع: يا عم أعيذك بالله أن تكون المصلوب بالكتامة، فقالت له أم زيد: والله ما يحملك على هذا القول غير الحسد لابني، فقال: يا ليته حسداً - ثلاث مرات - ثم قال: حدثني أبي عن جدي أنه يخرج من ولده رجل يقال له زيد، يقتل بالكوفة، ويصلب بالكتامة، يخرج من قبره نشأ^(١٨).

وهكذا في رواية حمزة بن حمران حيث استعرض فيها خبر الاستشهاد وما يعقبه من حوادث^(١٩)، وهناك رواية أخرى أيضاً فيها تفصيل مسهب حول هذه الحوادث^(٢٠).

وقد نقل المجلسي في بحاره روايات في ذم زيد بن علي ونفيه عن الخروج،

منها:

عن داود الرقي قال: دخلت على الصادق فقال: «ما الذي أبطأ بك عنا يا داود؟» فقلت: حاجة عرست لي بالكوفة هي التي أبطأت بي عنك، فقال لي: «ماذا رأيت بها؟» قلت: رأيت عمك زيداً على فرس ذنب قد تقلد مصحفاً وقد حفَّ به فقهاء الكوفة، وهو يقول: يا أهل الكوفة إني العلم بينكم وبين الله تعالى،... وبعد إشارة إلى تنصيب الأئمة الاثني عشر قال الصادق: «فأين ي태ه بزيد ويدهب به؟! إن أشد الناس لنا عداوة وحسداً الأقرب إلينا في الأقرب»^(٢١).

ويلاحظ في هذا الحديث طعن الإمام في زيد وذمه له.

وعن الصادق - أيضاً - قال له: «لا تفعل فإني أخاف أن تكون المقتول... أما علمت يا زيد أنه لا يخرج أحد من ولد فاطمة على أحد السلاطين قبل خروج السفياني إلا قتل»^(٢٢).

وينقل المجلسي عن الكشي قول آخر للصادق ع، جاء فيه: «رحم الله عمّي زيداً، ما قدر أن يسير بكتاب الله ساعة من نهار»^(٢٣).

ثورة زيد بن علي

هناك جملة من الروايات التي تحدثت عن خروج زيد ومشروعيته وتداعيات

ثورته منها:

عن أبي عبدالله السياري، عن رجل من أصحابه قال: ذُكر بين يدي أبي

عبد الله عليه السلام من خرج من آل محمد، فقال عليه السلام: «لا أزال وشيعتي بخير ما خرج
الخارجي من آل محمد، ولو ددت أن الخارجي من آل محمد خرج وعلى نفقة
عياله» (٢٤)

وعن محمد الحلبي قال: قال أبو عبد الله علّاكه: «إن آل أبي سفيان قتلوا الحسين ابن علي فنزع الله ملكتهم، وقتل هشام زيد بن علي فنزع الله ملكته، وقتل الوليد يحيى ابن زيد فنزع الله ملكته»^(٢٥).

وعن ابن سبابة قال: دفع إلى أبو عبدالله الصادق عليه السلام ألف دينار وأمرني أن أقسمها في عيال من أصيب مع زيد بن علي عليه السلام ^(٢٦). وروى ذلك أبو خالد الواسطي قال: سلم إلى أبو عبدالله ألف دينار وأمرني أن أقسمها في عيال من أصيب مع زيد ^(٢٧):

وهذه النصوص تشير - بالطبع - إلى تأكيد الإمام على خروج زيد والاهتمام .٤

فثمة تباين في الأحاديث المؤيدة لخروج الناس ودعمهم في ذلك، إذ إن من الروايات ما ينهى عن الخروج ويبطل شرعيته، من قبيل: رواية مؤمن الطاق بسندها الصحيح (٢٨).

حيث يروى أن زيد بن علي بعث إلى مؤمن الطاق وهو مختلف قال: فأتيته، فقال لي: ما تقول إن طرق طارق منا أتخرج معه؟ قال: قلت له: إن كان أبوك وأخوك خرجت معه. ولما على زيد أمره. ثم يذكر مؤمن الطاق وفوده على الصادق وإخباره بمقالة زيد، فغضد موقفه^(٢٩):

ولعلَّ هذا هو السبب في رجوع أهل الكوفة عن بيعة زيد وتخليهم عنه في حربه مع هشام^(٣٠).

وقد رأى البعض في تعليق الصادق على كلام مؤمن الطاق تأييداً لذيل حديثه الداعم لمبدأ الإمامة، دون أن يكون فيه تعارض بين موقف الإمام ورؤيه زيد^(٣١)، وهناك من نفى الأخذ بهذه الرواية من قبل علماء الشيعة^(٣٢)، حيث نصّت روايات الإمام الأخرى على ضرورة دعم زيد في حركته ومناصرته.

• بدايات الانشقاق الزيدية في التاريخ الشيعي، قراءة في الوثائق والروايات

فروي عن البارق عليه السلام أنه قال: «لicutلن من ولد الحسين رجل يقال له زيد بن علي... من نظر إلى عورته فلم ينصره أكباه الله على وجهه في النار»^(٣٣). ثم ذكر عليه السلام أن جزاء من يعينه هو الشفاعة ودخول الجنة^(٣٤).

ورداً على سؤال وجهه زيد لزرارة قال فيه: ما تقول يا فتى في رجل من آل محمد استنصرك؟ فقال: إن كان مفروض الطاعة نصرته، وإن كان غير مفروض الطاعة فلي أن أفعل ولني أن لا أفعل^(٣٥).

يروى أيضاً أن الصادق عليه السلام قال لأبي ولاد الكاهلي: «رأيت عمي زيداً؟ قال: نعم رأيته مصليباً، ورأيت الناس بين شامت حق، وبين محزون محترق، فقال: أما الباقي فمعه في الجنة، وأما الشامت فشريك في دمه»^(٣٦).

الإمامية وخطر الانشقاق

أكّدت بعض روایات البحار على إقرار زيد بالإمامية، بينما نقل البعض الآخر صورة مشككة له ولأتباعه في إمامية الشيعة، فجادلوا في جملة من المواقف من قبيل: صفات الإمام، وعدم شرعية الإمام الجالس وترجيح إمامية الإمام القائم.

يروى عن عمرو بن خالد قال: قال زيد بن علي بن الحسين: في كل زمان رجل من أهل البيت يحتاج الله به على خلقه وحجة زماننا ابن أخي جعفر بن محمد لا يصل من تبعه ولا يهتدى من خالقه^(٣٧).

ويقول زيد في (الحقوق): حق الله على عبده في أئمة الهدى: أن ينصح لهم في السر والعلانية، وأن يجاهد معهم، وأن يبذل نفسه دونهم^(٣٨).
وعن يحيى بن زيد قال: سألت أبي عن الأئمة، فقال: الأئمة اثنا عشر، وتلا أسماءهم عليه^(٣٩).

وعن الرضا عليه السلام نقاً عن الصادق عليه السلام قوله: «رحم الله عمي زيداً، إنه دعا إلى الرضا من آل محمد... وقد استشارني في خروجه، فقلت له: يا عم إن رضيت أن تكون المقتول المصلوب بالكنيسة فشأنك»^(٤٠).

ولهذه الرواية تكمّلة لافتاً في حوار الإمام مع المؤمن، حيث قال للإمام: أليس

قد جاء فيمن ادعى الإمامة بغير حقها ما جاء؟ فردَ الرضا عليه: «إن زيداً لم يدع ما ليس له بحق، إنه قال: أدعوك إلى الرضا من آل محمد، وإنما جاء ما جاء فيمن يدعى أن الله نصّ عليه»^(٤١).

إن دعوة زيد للرضا من آل محمد كانت عاملاً مهماً في التفاف الشيعة حوله ومبرأة لهم له، وإن كان هناك من توهّم دعوته لنفسه، ولم يكن يريدها^(٤٢)، لمعرفته باستحقاق أخيه الإمام من قبله ووصيته عند وفاته إلى أبي عبدالله عليهما السلام، وهذا دليل على اعترافه بأصل الإمامة.

وكان هشام يحاول بثَ مثل هذه الإشاعة عندما قال له: أنت المؤهل نفسك للخلافة، الراجي لها؟ وما أنت وذاك لا أُم لك، وإنما أنت من أمّة، فقال له زيد: إني لا أعلم أحداً أعظم منزلة عند الله من نبيّ بيته وهو ابن أمّة، وهو إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام^(٤٣).

وسأل زيديَّ الشيخ المفيد، فقال: بأي شيء استجزت إنكار إمامية زيد؟ فقال: إنك قد ظنت عليَّ ظناً باطلًا، وقولي في زيد لا يخالفني فيه أحد من الزيدية.. وأقول: كان إماماً في العلم والزهد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأنفي عنـه الإمامة الموجبة لصاحبها العصمة، والنـصـ، والـمعـجـرـ، فـهـذـاـ ماـ لاـ يـخـالـفـنـيـ عـلـيـهـ أحـدـ^(٤٤).

وتتصـ عـقـيـدـةـ الـزـيـدـيـنـ عـلـىـ تـعـيـنـ الـأـئـمـةـ الـثـلـاثـةـ الـأـوـلـ مـنـ قـبـلـ الرـسـوـلـ بـنـصـ خـفـيـ لـاـ جـلـيـ، وـهـمـ إـلـاـ إـمـامـ عـلـيـ وـالـحـسـنـ وـالـحـسـيـنـ عـلـيـهـمـ السـلـامـ، وـكـانـ يـقـعـ عـلـىـ عـاتـقـ الـأـمـةـ الـبـحـثـ وـالـتـحـقـيقـ عـنـ ذـلـكـ النـصـ بـغـيـةـ كـشـفـ الـحـقـيـقـةـ وـالـوـصـولـ إـلـيـهـ، أـمـاـ التـقـاعـسـ عـنـ ذـلـكـ فـهـوـ الـمـذـمـومـ عـنـهـمـ، وـذـهـبـتـ بـعـضـ جـنـاحـاتـ الـزـيـدـيـةـ – كـالـجـارـوـدـيـةـ – إـلـىـ تـكـفـيرـ وـارـتـدـادـ الـمـقـسـرـيـنـ فـيـ الـكـشـفـ عـنـ دـلـيـلـ بـيـعـةـ الـخـلـيفـةـ الـأـوـلـ.

أما بالنسبة لسائر الأئمة، فقد قالوا بتعيينهم بالشوري أو برأي أهل الحل والعقد. نعم، هم لا يقطعون بشرعية كل معين بهذه الطريقة إلا أن تتوفر فيه صفات العلم والزهد والشجاعة، وانتسابه لولد فاطمة، وخروجه على الظالم.

وتسمى نظريتهم في الأئمة الثلاثة بالتنصيب والتسمية، وفي غيرهم بالوصف. وعندهم أن زيد بن علي هو أول من عُيِّن إماماً بالوصف، وهم لا يقولون بعصمة

• بدايات الانشقاق الزيدى في التاريخ الشيعي، قراءة في الوثائق والروايات

هؤلاء الأئمة^(٤٥). ومن هذا تظهر حكمة الشيخ المفید في جوابه المتقدم. لقد نصت العقيدة الزيدية على اشتراط الخروج في الإمام، وهو ما نجلده منعكساً في رواية أبي الصباح، حيث يُروى أنه دخل على زيد فقال له: يا أبا الحسين بلغني أنك قلت: الأئمة أربعة، ثلاثة مضوا، والرابع هو القائم. قال زيد: هكذا قلت، فحاججه أبو الصباح بإمامية الباقي^{عليه السلام}، ولما بلغ هذا الكلام الإمام الصادق^{عليه السلام} أشكل على مصدق الخرج وناقشه مفهومه^(٤٦).

ويشرح المجلسي قول زيد فيقول: ثلاثة مضوا، لعله لم يعد علي بن الحسين^{عليه السلام} منهم؛ لعدم خروجه مستقلًا بالسيف، أو يكون المراد الأئمة بعد أمير المؤمنين^{عليه السلام}، وعلى هذا لا يكون كلام زيد نافياً لإمامية الباقي^(٤٧). ولزيد عبارة أخرى أكثر دلالة على المراد قال فيها: جعفر إمامنا في الحال والحرام^(٤٨).

ثم هناك روايات أخرى تظهر وجهة نظر الناس الجانحة نحو الإمام الشاهر لسيفه والخارج على الحاكم الظالم، ونبذ الإمام المستكين والمرخي عليه ستره كما تعبّر بعض النصوص^(٤٩):

إن غالبية الروايات المنقولة في حق زيد جاءت عن طريق عمرو بن خالد وأبي الجارود، وهما من كبار رؤساء الزيدية^(٥٠). بينما جاءت رواية شرب زيد للنبيذ عن طريق سعيد بن منصور وهو من كبارهم أيضًا^(٥١).

كان من جملة نشاطات الإمامين الباقي والصادق^{عليهم السلام}، آنذاك الرد على شبّهات الزيدية، وأهمها اعتراضهم على عدم خروج الإمامين^{عليهم السلام}^(٥٢).

يذكر أنَّ مبحث الإمامة كان مثار اهتمام العامة والخاصة إبان هذه الحقبة التاريخية، فبينما كان قسم من الشيعة الموالين للإمام الباقي والصادق على عقيدة راسخة بإمامتهما وعلو شأنهما، كان هناك قسم آخر يعترض على تريث الإمام وسكتوه الظاهري على الظروف السائدة، وطالب بالخروج المسلح وحمل السيف تحت أيّة شروط، هؤلاء هم أتباع حركة زيد سنة ١٢٢هـ اتصلوا بالفرقة الحسينية بزعامة عبدالله ابن الحسن (١٤٥هـ) من أحفاد الإمام الحسن^{عليه السلام}، وتزعم من بعده

هذا التيار محمد ابن عبد الله صاحب النفس الزكية، وقد التحق به عدد لا يأس به من المنشقين عند خروجه سنة ١٤٥هـ وتمكنوا من السيطرة على المدينة وعرضوا الإمام الصادق هناك للمضايقة الشديدة لرفضه مساندتهم^(٥٣). ومع أن هذه الحركة آلت بالفشل أيضاً، إلا أن فولوها لم تستجب لإمامية وإنما مضوا في تعزيز تجمعهم وأساليبهم ليكونوا من ذلك الأساس الأول لكيان الزيدية.

يعلق المجلسي على الحديث رقم (٧٢) فيقول:

«إن قال قائل: فزيد بن علي عليهما السلام إذا سمع هذه الأحاديث من الثقات المعصومين وأمن بها واعتقدتها، فلم يخرج بالسيف وادعى الإمامة لنفسه، وأظهر الخلاف على جعفر بن محمد؟... فأقول: إن زيد بن علي خرج على سبيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا على سبيل المخالفة لابن أخيه جعفر بن محمد عليهما السلام، وإنما وقع الخلاف من جهة الناس، وذلك أن زيد بن علي عليهما السلام لما خرج ولم يخرج جعفر بن محمد عليهما السلام توهם قوم من الشيعة أن امتناع جعفر كان للمخالفة، وإنما كان لضرب من التدبر... والدليل على صحة قولنا قول زيد بن علي: من أراد الجهاد فإليه، ومن أراد العلم فإلى ابن أخيه جعفر، مضافاً للفي يحيى بن زيد الإمام عن أبيه^(٥٤). إلا أن المجلسي أورد بعد ذلك تفسيراً للكافي حول محااجة زيد مع الإمام الباقر عليهما السلام^(٥٥)، وروى فيها قول زيد: ليس الإمام منا من جلس في بيته وأرخى ستراه وثبط عن الجهاد، ولكن الإمام منا من منع حوزته وجاحد في سبيل الله حق جهاده ودفع عن رعيته وذبّ عن حريمه^(٥٦).

وكان ردّ الباقر عليهما السلام على هذا الكلام من جهتين:

الأولى: ليس كل الأعمال فريضة واجبة، بل الفرائض في الدين واضحة ومعينة.

والثانية: ضرورة الأخذ بظروف الزمان والمكان ومدى ضمان التأثير في العمل المزمع تنفيذه^(٥٧).

يلاحظ في هذه الرواية وجود خلاف فكري بين الإمام وزيد لا مناص من تأييده، لكن الرواية مرسلة وفي سندتها الحسين بن الجارود وموسى بن بكر وكلاهما

مجهولان^(٥٨).

بعد نقل هذه النصوص يخلص المجلسي إلى القول: بأن الأخبار اختلفت وتعارضت في أحوال زيد وأضرابه كما عرفت، لكن الأخبار الدالة على جلاله زيد ومدحه، وعدم كونه مدعياً لغير الحق أكثر، وقد حكم أكثر الأصحاب بعلو شأنه، فالمناسب حسن الظن وعدم القدح فيه^(٥٩).

إذن، فحكم المجلسي مؤيد لزيد أما بتأويل الروايات الدالة له أو طرحها، بل إنه قال فيه: مأذون من جانب الإمام سرآ^(٦٠). والحقيقة أن المجلسي استند في رأيه هذا إلى غالبية الروايات المرجحة لكتفة المدح قبل روايات الذم. وقد ساهم مذهب المجلسي في زيد في توجيهه بعض القراءات الحديثة لمفهوم الشورة في الإسلام والتشيع، الأمر الذي قاد البعض إلى الجمع بين الروايات المذكورة، فقالوا في ذلك إن هدف الإمام الصادق وزيد واحد هو الإصلاح في المجتمع، لكنهما عملاً بنموذجين للحفاظ على الإمامة واستقطاب أكبر عدد ممكن من الناس، فظاهرهما يوحى بانفصالهما، والواقع اتحادهما في الرؤية^(٦١).

وي يمكن القول بأن عدم عصمة زيد قد تقوده إلى الخطأ في بادئ الأمر، فصار أسيراً للأحساس الآية فتبتهه كلام الإمام الباقر والصادق عليهما السلام، لذا يمكن تصنيف الروايات المتعارضة في قسمين:

الأولى: دالة على المرحلة الأولى من حياة زيد.

والثانية: على المرحلة الثانية، وهي مرحلة إيمانه الراسخ ودعمه للإمامية. وهذا التفسير لم يذكره المجلسي وورد في كتب المؤخرين^(٦٢).

وي يمكن أن تكون روايات القدح صادرة بموجب التقية وحسب، أو أن تكون مما وضعه بنو أمية والعباسيون لتشويه الحركات العلوية آنذاك^(٦٣).

إن مجموع الحوادث التي شهدتها العقود الثلاثة الأولى من القرن الثاني أفرزت لنا نظريتين بين الشيعة، حيث ذهب جماعة منهم إلى القول بعدم اعتقاد زيد بإمامية الباقر والصادق عليهما السلام، وقدموا في ذلك توثيقهم الروائي وأدلةهم التاريخية^(٦٤). وهؤلاء على نحوين: منهم الإمامية الذين قالوا بإمامية الأئمة عليهما السلام ونفي إمامية زيد، وأخرون

قالوا بإمامية زيد ورفضوا إمامية الأئمة الأخرى عشر وهم الزيدية.

أما النظرية الأخرى فتستند إلى القول باعتقاد زيد الباطني بالإمامية وسائر الأئمة، لكن التقى كانت تفرض عليه أحياناً إظهار مخالفته لمنهجهم عليه السلام، وهذا ما يفسر التعارض الوارد في بعض الروايات المنقوله. ولهذا الاتجاه تأييد واسع بين علماء الإمامية كالعلامة المجلسي، ويمكن استنباط رأيه هذا من خلال طريقة لجمع روايات زيد وتحليلها.

لقد حدد المجلسي في بحثه الأصول الكلامية التي أدت إلى انفصال الزيدية عن الإمامية، ويمكن اتخاذ النصوص الواردة في البحار مصدرًا في دراسة الأطر الاجتماعية والتاريخية والمعرفية لواحد من أهم المنعطفات السياسية في تاريخ التشيع أعني تأسس الزيدية.

يذكر أن ما هو قائم بين مذهب التسنن والتشيع من تقريب ليس له وجود بين فرق الشيعة نفسها، ولم نعد نعهد دوراً فعالاً للمجمع العالمي لأهل البيت بهذا الخصوص وهو المعنى بهكذا مسؤوليات.

ختاماً، نذكر بأن مقالنا لم يكن بقصد لخاتمة جميع الأبعاد التاريخية للزيدية والإمامية، وإنما جاء رصده لجذب من تلك السجلات التاريخية بالرجوع إلى كتاب بحار الأنوار، وهي محاولة لرأب الصدع بين الفرقتين من خلال الوثائق التاريخية وروايات المعصومين عليهم السلام.

* * *

الهوامش

(١) بحار الأنوار ٤٦: ١٥٥، مؤسسة الوفاء - بيروت ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م.

(٢) أنظر: تاريخ البهقي، علي بن زيد البهقي: ١٩٤، مكتبة فروغی - طهران؛ تاريخ طبرستان، ابن إسفنديار: ٢٢٤ - ٢٧٠، منشورات پدیده - طهران ١٣٦٦ هـ. شمسی؛ جنبش زیدیة در ایران (حركة الزيدية في ایران)، عبد الرفع حقیقت، نشرفلسفة - طهران ١٣٦٣ هـ. شـ؛ أخبار الأئمة الزیدیة فی طبرستان والدیلم

• بدايات الانشقاق الزيدوي في التاريخ الشيعي، قراءة في الوثائق والروايات

- وジلان، تحقيق ويلفرد مادلونج، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية - بيروت ١٩٨٧.
- (٣) راجع في آراء علماء الشيعة في زيد بن علي كتاب شخصيت وقيم زيد بن علي (شخصية ونهضة زيد بن علي)، السيد أبو الفضل رضوي الأردكاني: ٤٦٩ - ٥١٠ - ٥٢٠.
- (٤) صدر مؤخراً كتاب بعنوان تعلقات على الإمامة عند الاثني عشرية لعبد الله محمد إسماعيل، عمان ١٤١٩هـ جمع فيه بين آراء علماء الإمامية في الزيدية وبين ردود الزيدية عليها.
- (٥) بحار الأنوار ٤٦: ١٥٥ - ٢٠٩.
- (٦) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ الحديث ١٣: ٩٤٤٣ - ٩٤٤٧؛ وقد نقل المجلس جل أخبار زيد بن علي في باب أحوال أولاد الإمام السجاد، مضافاً لما ورد في باب حياة الصادق والكاظم والرضا، وباب الخمس أيضاً.
- (٧) انظر: تاريخ التراث العربي - الفقه، فؤاد سزгин: ٣٢٥ - ٣٢٦ - ٣٢٧.
- (٨) هناك روايات عديدة حول تاريخ استشهاده منها ما جاء في الحديث ٤٨ من بحار الأنوار ٤٦: ١٨٣ - ١٨٤ وكتب التاريخ كاريغ اليعقوبي ٢: ٣٧٠ - ٣٧١.
- (٩) تاريخ التراث العربي - الفقه: ٣٢١ - ٣٢٢.
- (١٠) فرهنگ فرق إسلامی (معجم الفرق الإسلامية)، محمد جواد مشکور: ٢١٧، مؤسسة الدراسات الإسلامية - مشهد ١٣٧٥هـ. ش.
- (١١) من قبل: «باب ما جاء عن الرضا عليه السلام في زيد» عنون أخبار الرضا ١: ٢٤٨.
- (١٢) بحار الأنوار ٤٦: ١٦٨ - ١٦٩، الحديث ١٤.
- (١٣) المصدر السابق: ١٧٠، الحديث ١٧؛ كذلك ص ١٩٤، الحديث ٦٤.
- (١٤) المصدر السابق: ١٧٠ - ١٧١، الحديث ١٩.
- (١٥) المصدر السابق: ١٨٦، الحديث ٥٢.
- (١٦) المصدر السابق: ١٧٤، الحديث ٢٧.
- (١٧) المصدر السابق: ١٧١، الحديث ٢٠، وقد شبه الحديث ٢٨ استشهاد زيد باستشهاد الإمام علي والحسن والحسين عليهما السلام.
- (١٨) المصدر السابق: ١٦٨، الحديث ١٢.
- (١٩) المصدر السابق: ١٧٢، الحديث ٢٢.
- (٢٠) المصدر السابق: ١٨٣، الحديث ٤٨.
- (٢١) المصدر السابق: ١٧٣ و ١٧٤، الحديث ٢٦.
- (٢٢) المصدر السابق: ١٨٥، الحديث ٥١.

- (٢٣) المصدر السابق: ١٩٦، الحديث: ٦٨.
- (٢٤) المصدر السابق: ١٧٢، الحديث: ٢١.
- (٢٥) المصدر السابق: ١٨٢، الحديث: ٤٦.
- (٢٦) المصدر السابق: ١٧٠، الحديث: ١٨.
- (٢٧) المصدر السابق: ١٨٧، الحديث: ٥٢.
- (٢٨) شخصيت وقيام زيد بن علي، مصدر سابق: ٤٩٠.
- (٢٩) بحار الأنوار: ٤٦، ١٨١، الحديث: ٤٢.
- (٣٠) المصدر السابق: ١٨٦، الحديث: ٥٢.
- (٣١) دراسة في ولادة الفقيه: ١: ٢١٣.
- (٣٢) شخصيت وقيام زيد بن علي: ٤٩١.
- (٣٣) بحار الأنوار: ٤٦، ١٧٠، الحديث: ١٦.
- (٣٤) المصدر السابق: ١٧١، الحديث: ٢٠.
- (٣٥) المصدر السابق: ١٩٣، الحديث: ٦٠.
- (٣٦) المصدر السابق: ١٩٣ - ١٩٤، الحديث: ٩٦.
- (٣٧) المصدر السابق: ١٧٣، الحديث: ٢٤.
- (٣٨) الحقوق، زيد الشهيد، تحقيق: محمد رضا الحسيني الجلاوي، مجلة علوم الحديث السنة الثالثة ١٤٢٠هـ - العدد ٦، ص ٢٥٣.
- (٣٩) بحار الأنوار: ٤٦، ١٩٨، الحديث: ٧٢.
- (٤٠) المصدر السابق: ١٧٤، الحديث: ٢٧.
- (٤١) المصدر السابق نفسه.
- (٤٢) وقد ذكر الشيخ المفید هذا الموضوع في الإرشاد: ١٥٢.
- (٤٣) بحار الأنوار: ٤٦، ١٨٦ و ١٨٧، الحديث: ٥٢.
- (٤٤) المصدر السابق: ١٩٠، الحديث: ٥٤.
- (٤٥) للاطلاع على آراء الزيدية في مبحث الإمامة راجع: الأساس لعوائد الأكياس، قاسم بن محمد: ١٥٢ - ١٥٦، مكتبة التراث الإسلامي - صعدة ١٤١٥هـ؛ البحر الزخار، أحمد بن يحيى المرتضى: ٥ - ٣٨٤ - ٣٨٢، دار الحكمة اليمنية - صنعاء ١٤٠٩هـ؛ الزيدية، الصاحب بن عباد: ١١ - ١٣، الدار العربية للموسوعات - بيروت ١٩٨٦؛ الملل والنحل، الشهريستاني: ١ - ١٤٥، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة - بيروت ١٤٠٢هـ.

• بدايات الانشقاق الزيدية في التاريخ الشيعي، قراءة في الوثائق والروايات

(٤٦) بحار الأنوار: ٤٦: ١٩٤ - ١٩٥، الحديث .٧٧

(٤٧) المصدر السابق: ١٩٥ و ١٩٦.

(٤٨) المصدر السابق: ١٩٧، الحديث ٦٩، وأيضاً ص ٢٠٠، الحديث ٧٢، وص ٢٠١ الحديث ٧٥

(٤٩) من قبيل ما ورد في الحديث ٧١، ص ١٩٧ من المصدر السابق.

(٥٠) المصدر السابق: ١٩٤، الحديث .٦٤

(٥١) المصدر السابق: الحديث .٩٥

(٥٢) كما ورد في ص ١٩٧، الحديث ٧٠ من المصدر السابق.

(٥٣) انظر: الكافي :١: ٣٥٨ و ٨ و ٣٦٣ - ٣٦٤؛ بصائر الدرجات، محمد بن الحسن الصفار: ١٥٦ و ١٦٠؛ الغيبة:

.١١٩

(٥٤) بحار الأنوار: ٤٦: ١٩٩، ذيل الحديث .٧٢

(٥٥) الكافي، كتاب الحجة :١: ٣٥٦، الحديث .١٦

(٥٦) بحار الأنوار: ٤٦: ٢٠٣ و ٢٠٤

(٥٧) المصدر السابق: ٢٠٤ و ٢٠٥

(٥٨) دراسات في ولادة الفقيه :١: ٢١٥

(٥٩) بحار الأنوار: ٤٦: ٢٠٥

(٦٠) مرآة العقول :١: ٤٦٩.

(٦١) دراسات في ولادة الفقيه :١: ٢٠٧.

(٦٢) المصدر السابق: ٢١٦ - ٢١٧

(٦٣) شخصيت وقيام زيد بن علي، مصدر سابق: ٤٩١.

(٦٤) انظر: زيد بن علي ومشروعية الثورة عند أهل البيت عليهما السلام، الشيخ نوري حاتم: ١٩٢ - ٢٠١

